الفصل السادس

أحداث بلاط الشهداء

بواتيه *poitiers*

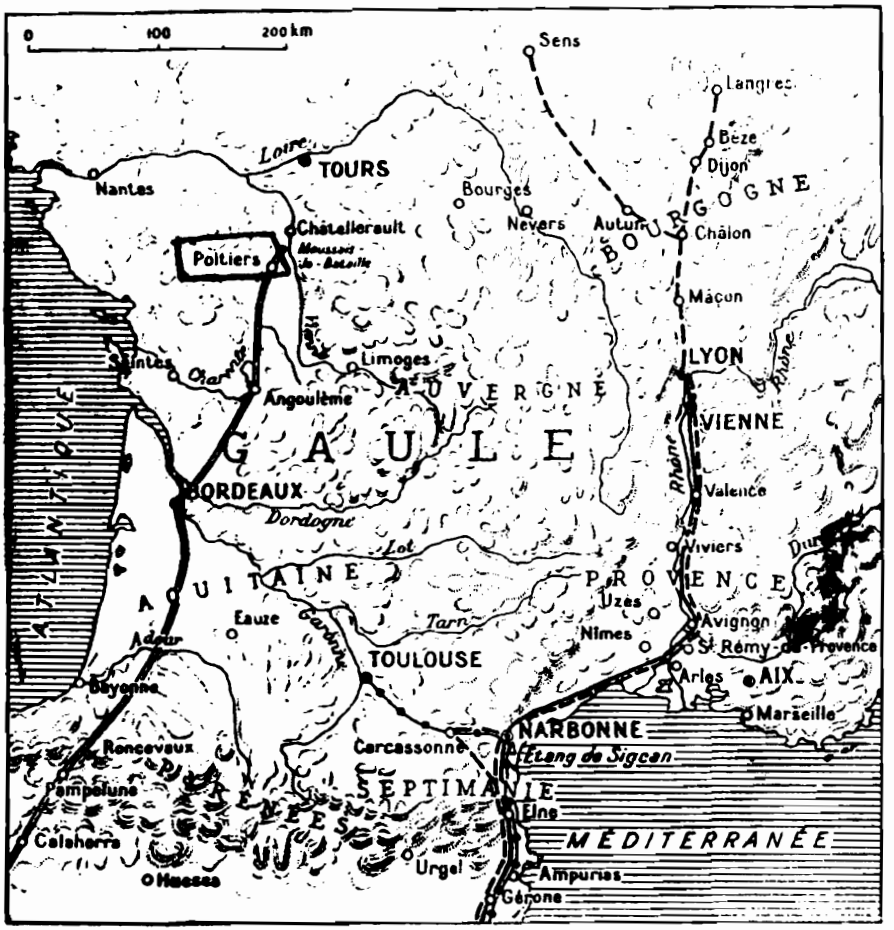

١ ـ الحملات الاولى بعد ٧١٤

٢ ـ حملة السمح الخولاني ٧٢١

٣ ـ حملة عنبه الكلبي ٧٢٥

٤ ـ حملة عبد الرحمن الغافقي ٧٣٢

الحملات الإسلامية في فرنسا(معركة بلاط الشهداء)

أحداث بلاط الشهداء (بواتيه Poitiers)

لا تمدنا المصادر الأندلسية بمعلومات واضحة او تفصيلات شافية عن هذه الموقعة ولاتلقى عليها غير ضوء خافت ولـم تحدد لنا موقع الميدان الذي دارت فيه أحداث معركة بلاط الـشهداء بدقة فمراجعنا الأنـدلسية والإسلامية عموما لـم تفصح عن ذلك لكنها ذكرت أن المعركة دارت فى بلاد الفرنجة وسمت الموضع بلاط الشهداء، ويذكـر أن الغافقـي استشـهد فى موضـع يقع بـين مدينتـي تور (Tours) وبواتيه (Poitiers) عـلى بعد ٢٠٠ كيلو متر جنوب بـاريس وقد كان اللقاء عـلى بعد ٢٠ كيلومتر شمال (بواتيه) فى الطريق إلى تور وجنوبى مجرى اللوار فى موضع قريب من طريـق روماني قديم هـو المسمى بالـبلاط وفى هذا المـوضع قريه تـسمى الأن مواسية لاباتاي Moissias La Batille وربما كان موقعها يحدد مكان المعركه.

وقد دارت المعركة بالقتال الشرس أكثـر من أسبوع طوال عشره أيام مما يدل على إنها كانت معركة حامية الوطيس والحـق أن كلا الجانبين بذل أقصى مافى وسعه فى القتال وصبـر المسلمون صبرا طويلا حتـى تجمعت عليهم القـوات الأوربية من كل ناحيـة فلم يقتصـر الأمر على الفرنجـة بل كان هناك كثـيرون من أجناس جرمـانية أخرى ، وآخر مراحل المعركة كان هجوما عـلى المؤخرة للجيش الإسلامي وصولا إلى القلـب فتزعزع نظام الجـيش وحدثت ثغرات استـطاع الاعداء النفاذ مـنها إلى القلب وفى ذلك الـوقت استشهد القائد عبـد الرحمن الغافقي بسهـم أصابه بمقتل وقد كـان هذا نـذير الهزيمـة لوفاة الـقائد وذلـك بعد أن تحركـت بعض الـقوات الإسلامية تجاه المؤخـرة لمحاولة صد الهجوم الخلفى لاسـيما أن الدوق أودو حاكم كونتيـانه الذى هزمه المسلـمين كان الساعد الأيمن لـشارل مارتل قد قاتل المـسلمين مرارا وعرف نقط الضعف لديهم وأراد أن يعمل على استغلالها مكان الهجوم على المؤاخرة وحدث خلل فى تنظيم القـوات الأمر الذي أستدعى سحب بعض القوات من المقدمة والميسرة لـصد الثغرة التى أحدثتها قوات الفرنجة لـكن تقدم الفرنجة كان أسرع نظرا لوصولهم إلى قلب المعركة حيث المكان الذي كان يقود منه عبدالرحمن الغافقي قواتـه المتقدمه وأصيب القـائد الشهيد بسـهم قاتل وأحدثت وفاتـه ارتباكا

شديدا بين القوات عندما علمت بنبأ استشهاده وكان الأحرى على هيئة قيادة القوات وكبار المستشارين أن يكتموا خبر استشهاده عن جنودة حتى ينجلي الموقف لمصير المعركة لكن خلافا خدث بين هيئة القيادة وكبار القواد وكان قرار الإنسحاب لوفاة القائد وقد استمر القتال مع ذلك حتى هبط الليل فتحاجز الفريقان وانتهزت فلول المسلمين الفرصة فتسللت من مكان المعركة تحت الظلام فلما أصبح الفرنجة لم يجدوا للمسلمين أثر ولكنهم وجدوا ذخائر عظيمة فانتهبوها ولم يفكروا فى تتبع المسلمين واستطاعت البقية الباقية من القوات الإسلامية الإنسحاب إلى أرجونه.

وهناك بعض التعليلات التى تبين أسباب الهزيمة للقوت الإسلامية والتى منها القول أن الغافقي كان قد تجاوز مسافة بعيدة من مكان المعركة حيث عسكر فى أراضى (بواتيه) بعيدا عن القاعدة قرطبة حيث لم تكن قادرة على إمدادة بالقوات فكيف للقواعد العسكرية الأخرى كالقيروان والفسطاط ودمشق ان تلبى حاجاته فى هذا المجال أما نقطة الضعف التالية فكانت تكمن فى عدم الإنسجام بين عناصر المقاتلين حيث كانت تسود روح العصبية الحزبية فالمقاتلون من البربر افتقدوا ذلك الإندفاع المتماسك المتعاون الذى تجلى فى معارك الفتح فى اسبانيا حيث كانت بذور النقمة على التسلط العربى تأخذ طريقها إلى نفوسهم وإن كان ذلك شعور غير علني ذلك لأن الغافقي استطاع بشخصيته القويه المتحررة من رواسب العصبيه أن يستقطب هذا العدد الكبير من المقاتلين وأن يمتص حساسيتهم إلى حد كبير لكن كما تذكر بعض الأقوال فإن غالبيته البربر لم يتحمسوا أكثر للمعركة وتطلعوا إلى الإنسحاب من ميدان المعركة اكتفاء بما وصلوا إليه من مد إسلامى فى هذه الأراضي حماية للقوات من سلبيات الصمود وخسارة كل شئ ولكن عبد الرحمن الغافقي لم يكن يدور فى خلده سوى الغزو وهو القائد المدرب الخبير بقتال هؤلاء القوم ولم تكن فكره الإنسحاب فى معرض المناقشة مع هيئة أركانه ومستشاريه ومجلس الحرب الذى كان يضم كبار القواد لأن هذه الفكرة لم تكن تسمح لها بالظهور أو السماح لأحد من المستشارين أن يفكر فى ذلك وقد تكون هذه من بنات أفكار

المؤرخين الأوروبيين لأن معنى ذلك الإستهانه بكل الإنجازات التي تحققت فى فرنسا شمال جبال البرانس والعودة إلى نقطة البدء ولو أن هذه الحملة كانت مجرد غزوه مثلها مثل ماسبقتها من غزوات عنبسة الكلبى أو السمح بن مالك الخولانى لكانت فكره الإنسحاب راقت له وتخلى عن تلك المدن والأقاليم التي سقطت فى يده ولكنه آثر أن يمضى فى المعركة حتى النهاية دون أن يفقد الإيمان بالانتصار وتثبيت رايات الإسلامي فى قلب فرنسا وهو الذى كان يطمع فى السيطرة على كل اراضى فرنسا وفى اواخر شعبان ١١٤هـ اكتوبر ٧٣٢م. درات أحداث المعركة وحقق المسلمون انتصارات أوليه وكاد أن يكون الظفر النهائى لهم لولا خطأ فى عدم تغطيه المؤخرة وكانت النتيجه سقوط القائد البطل بعد قتال عنيف وطويل دام عشرة أيام وقيل أكثر من أسبوع. وقد سميت هذه المعركة فى المصادر العربية باسم (بلاط الشهداء) حيث أن التسمية لها علاقة بالمكان الذي كان على الأرجح اطلال قصر قديم فكلمة بلاط هنا مرادفه للقصر وليس لاشتقاق آخر بمعنى الطريق المبلط او المرصوف ويحمل المكان حاليا اسم (موسة لاباتاي Movssais labataille) وكانت معركة البلاط فى غاية الأهمية حيث ظلت لها أصداء خاصه فى العلاقات بين المسلمين الأوربين وحولها تمحور الصراع العسكرى العقائدى بين الطرفين خلال الأجيال القادمة..

ومن ذلك ما تشهده هذه الأيام فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين وظهور نغمة بلاط الشهداء (بواتيه) وتخوف أوروبا من خطر الإسلام الأصولي (السلفي) الزاحف الذي بدأ يشكل قوة حقيقية فى البلاد العربية والإسلامية ولاسيما دول الشمال الأفريقي القريبة من جنوب أوروبا من هنا ارتفعت صيحات الأجيال المعاصرة (١٩٩٤) تطالب بتوحيد أوروبا لصدا (بواتيه)جديدة وكان شارل مارتل جديد فى صوره (هيلموت كول) رئيس وزراء المانيا الذى قال فى حديث له إن المسلمين الاصوليين إن امسكوا بزمام القيادة السياسية في الجزائر وإذا قدر لهم وتملكوا صواريخ متوسطة المدى فإنهم سوف يهددون جنوب أوروبا (هذا هو شارل مارتل فأين عبد الرحمن الغافقي فى العصر الحديث)

وقدم المسلمون فى هـذه المعركه تضحيات غالية فى سـبيل مد راية الإسلام إلى تلك البقاع وان كانت لم تصل معلومـات وافيه عن هذه المعركة فإن ذلك يعود فى المقام الأول إلى فقد وضياع المؤلفات والمخـطوطات الإسلامية في حركة الاستراداد الأسبانية التي عـملت على التخلص من كل ما هو إسلامـى ومن هنا ضاعت هذه المؤلفات الإسلامية التي تتحدث عن هذه المعركة.

لكن مايمكن استنتياجه عن هذه الاحداث ان عدد القوات الاوربيه والفرنجيه كان يفوق كـثيرا الجيـش الإسلامي ولاشك ان شـارل مارتل قد اسـتنجد بـكل الدول والإمارات والأقاليم الأوروبية وأنه استعد استـعداد كافيا واعد للأمر عدته وخطط له مبكرا وكان يراقب تحركات المسلمين المستمرة فى الأراضى الكبيرة منذ سنوات.

هذا الى جانب العديد من العوامل الأخـرى ومنها طبيعه الأرض والجو والقتال والدفاع عـن ديارهم وغيـرها من العـوامل الأخرى التـي كانت لاشك فـى صالح المعسكر الفرنجى لاسيما أن المعركة دارت فى جو مطير وارض موحله وتلال وعرة حيث جرت معركة بـلاط الشهداء. وإذا أعتبرت خساره المسلمين جسـيمة فى معركة بواتيه Poitiers بحيـث انها قضـت علي تصميمهم على اجـتياح كل القـاره الأوربية وعدم اقتناعهم بما وصلت إليه أيديهم من مواقع على السفوح الشمالية لجبال البرنيه (البرانس) فكره خاطئه فان هناك محاولات غزو اخرى تتكلم عنها.

لقد تحدث كثيرا من المؤرخين والباحثين الأوروبيين عن مكان المعركة ولكنهم لم يتفقوا عن مكان التجديد فقد اجمع رنيو Reinad، كندى conde كوديرCodera ان المعركـه دارت فى المنطـقه الواقعـه بن مدينـتى تورTours علـى نهر الـلوارLoire وبواتيهPoitiers على نهر Clan كلين وفروعه راقد فينVienne والمسافة بين المدنيتن حوالى ٩٠ كيلو متر لذلك تسمى المعـركة فى المصادر الاوربية باسم إحدى المدينتن تور أو بوايته فقد ذكر أنها بدأت عند مدينـة تور كما ذكر أنه الميدان الذي اشتد فيه وطيس القتال قرب بواتيه ، وحيث أن المعركة استمرت مايقرب من عشرة أيام وأنه ربما حدث بـعض التحـرك فى تغير المـواقع خلال هذه الفـترة كما ادعـى أن تكون معركـه تور أو بواتيه . كمـا ذكر أن ميدان المعـركة كان قرب طريق رومـانى قديم

يصل بين بواتيه ومدينة Chatelleranit شاتلرو على نهر فيتي فرع من اللوار وبينهما حوالى ٣٠ كيلو متر فى مكان يبعد حوالى ٢٠ كيلو شمال شرق بواتيه ويحتمل أن تكون الأحداث النهائيه التي حسمت المعركة لصالح قوى أوربا قد دارت فى المكان المسمى حاليا (موسه لابتاى Moussaiss La Bataille وربما فى قرية خندق الملك Fosse la Roi وفى قريه واقعه بين مدينتي تور وبواتيه وقد اكتشفت فى تلك القرية حديثا حفريات نمت فى هذا المكان عن العديد من السيوف العربيه التي ربما تكون من أثر المعركة فلعل موضع هذه القرية ضمن ميدان معركة بلاط الشهداء كما أن بعض المصادر تذكر أن أحداث هذه المعركة قد دارت فى رمضان ١١٤هـ اكتوبر/ نوفمبر ٧٣٢م وربما الإنسحاب والقتال والتقدم طوال عشرة أيام قبل أحداث المعركة تدور بين هذه المدن وقد تغنت المصادر الأوربية بهذا الإنتصار واوعزت السبب بما يتلائم وفكر الإنسان الأوربى عن حركة المد الإسلامى وركزت على أن أسباب الهزيمه تعود إلى كثرة الغنائم وان الحملة كانت مجرد غزو يستهدف اشباع شهوات الجند بالغنائم فقط وأن تلك الغنائم أثقلت الجيوش الإسلامية والتي كان يضعها فى المؤخرة وأن الدوق اودو دوق اكتانيه هو الذى دل جيش شارل مارتل على مكان الغنائم حيث كان الجيش الإسلامى مثقلا بالغنائم وأن من عادة العرب والمسلمين ان يحملوا غنائمهم معهم فيحتفظون بها في مؤخرة الجيش مع حامية قليلة العدد تقوم بالحراسة والحفظ وأن بودو أراد ان يشغل المسلمين من ناحية الغنائم لعل ذلك يخل نظامهم أثناء القتال ولذلك قام بحركة الالتفاف السريعة بمهاجمة مؤخرة الجيش الإسلامى حيث الغنائم وحدث ماقدره بودو فقد اختل نظام الجيش الإسلامي فتراجعت بعض القوات لانقاذ الغنائم بينما استمر القتال فى المقدمه (روايه مؤرخين اوربين لجعل اسباب الفتح الغنائم والأسلاب) وأن جيش شارل مارتل التف من الخلف لكى يستولى على هذه الغنائم مما أحدث ارتباكا وفوضى فى المعسكر الإسلامى حيث انصرف الجند للدفاع عن المكتسبات المادية وتركوا أمر الدفاع والقتال وحدثت حالة من الفوضى استطاع الفرنجة من خلالها احداث عده ثغرات فى صفوف الجند الإسلامى ووصلوا إلى القلب حيث قتل الغافقي وتلك صورة معاكسه على الإطلاق للروح الإسلامية التي تتحرك لنشر الإسلام وسعيا

لإنقاذ أوروبا من ظلم النبلاء وتحكم رجال الإقطاع وسيطرة رجال الدين وصكوك الغفران وتحكم الكنسيه وسيادة الجهل والتخلف والبدائية وليس سعيا وراء الغنائم والأموال وفصة الغنائم فى مؤخرة الجيش قصة وهميـة لاتمت لروح الإسلام التى تعمل فى سبيل الجهاد وإعلاء شان الإنسان وهدايه البشرية لاسيما أن الجو العام للمعركة كان يشير لرجحان كفة المسلمين في بداية لكن عندما اشتد القتال واستشهد الغافقي حيث كان الجيش الإسلامى مستمراً فى القتال وقتل كثيرا من الفرنجة وكانت الأيام الثلاثة الأولى فى المعركة فى صالح الجند الاسلامى لكنه من بداية اليوم الرابع من القتال استشهد القائد مما هز من قدرة المقاتلين في الاستمرار في دحر الفرنجة وتحول القتال لصالحهم بمجرد إعلان نبأ مقتل القائد وكان ذلك السبب المباشر في انسحاب الجيش الإسلامي ولعل ترك الجيش الإسلامى لمعسكرة كما هو بخيامه ومعداته جعلت الفرنجة عند انبلاج الفجر يشعرون أن الجيش الإسلامى لايزال فى مواقفه لاسيما أن نار Fire المعسكر كانت لاتزال مشتعلة والخيام منصوبة في مكانها وهذا يعكس قدره الجيش على الإنسحاب المنظم والمحكم والقدره الفائقة على التمويه لاسيما بعد أن أستطاع حمل قتلاه وكان هذا الإنسحاب دليلا على الإنضباط وسرعة الحركة والقدرة على المناورة والتعتيم على العدو بعدم معرفة ميعاد الإنسحاب وكيفيه تحرك القوات الإسلامية فى اتجاه إلى الجنوب أو فى أى الإتجاهات تحركت هذه القوات التي لا يمكن أن تكون أقل من خمسين أو أربعين ألف جندى لأن عدد القتلى لم يصل إلى عشرة آلاف من الجانب الإسلامى وان كان عدد القتلى فى الجانب الأوروبي أكثر بكثيرا لاسيما أن الانتصار كان فى البداية لصالح المسلمين لكن المعارك تقاس بما تكون عليه النتيجة النهائية ولصالح أى من الأطراف المتصارعه لكن اوروبا هولت من شأن هذه المعركة ورسمت حولها اساطير وقصص وروايات خياليه وبالغوافي القول بأن هذه المعركة قد اوقفت الزحف الإسلامى للأبد ونهائيا عن اوربا وأن المد الإسلامى قد توقف عن الاستمرار والتقدم السريع داخل أراضى فرنسا وأن المسلمين لن يستطيعوا التقدم شمالا بعدما كان فى بواتيه أو تور بل إنهم اعتبروا أن المعركة كانت حاجزا

أنقذ اوربا لكن الصورة كانت بالعكس لان الزحف الإسلامى لو حقق أهدافه لتطورت اوربا وبكرت حركه النهضه الأوربية بعده بعدة قرون بدلا من القرن الخامس عشر وهكذا كما تصورا فإن نتائجها كانت منعطفا تاريخيا على قدر كبير من الأهمية فقد تم إنقاذ اوربا من خطر الإسلام على يد شارل مارتل (حسب التصور الأوروبي) فى مملكة الفرنجة والذى استحق عن جداره لقب المطرقة التي سحقت قوه العرب والمسلمين فى فرنسا وباعدت بينهم وبين التقدم خطوات مستقلبية فى هذه الأماكن مرة أخرى (أقوال ليفى بروفنسال) وهو الاسم الذى أطلقه عليه البابا (جريجورى الثالث) حيث باركت الكنسيه البابوية فى روما هذا الانتصار العظيم وهللت اوربا عن بكرة ابيها لهذا الإنتصار ودقت الكنائس أجراسها فى كل دول اوربا تبارك هذا الانتصار وحقق شارل ماتل هدفه فى وقف الطوفان الإسلامى الذى اكتسح اسبانيا في أقل من أربعه أعوام وكاد يسقط مملكة الفرنجة ونقف هنا وقفه قصيرة لكى نرد على الذين مجدوا معركة بلاط الشهداء (بواتيه) من المؤرخين الأوروبيين وتقول لهم ان شارل مارتل لو انتصر نصرا حماسا كما تقول مصادرهم على المسلمين فما الذى منعه من التقدم نحو الجنوب ومطاردة المسلمين الذين انسحبوا جنوبا إلى الاندلس والاستيلاء على باقي الممتلكات الإسلامية في جنوب فرنسا لو أنه كسر شوكه المسلمين كما تقول تلك المصادر فكيف استطاع عبد الملك بن قطين القهرى الذى آلت إليه القيادة (١١٤-١١٦هـ) بعد عبدالرحمن الغافقي ومن بعده يوسف الإندفاع إلى الشمال لتوطيد نفوذ المسلمين فى هذه الأراضى وماالذى دفع جند اربونه بعد المعركة مباشرة بالسير شمالا والاستيلاء على اراضى فرنسيه جديدة وفتح تلك الاقاليم مرة اخرى ولم يستطع شارل مارتل أن يحرك قواته أثناء هذا التقدم الإسلامى فى جنوب إمبراطورية الفرنجة ولم يفكر فى السير للقاء الزحف الإسلامى القادم من الجنوب أو على الأقل إرسال أحد من فرقته الحربية لمقاتلة المسلمين ولكن اكتفى بما حدث في بواتيه وخاف الدخول فى قتال مع المسلمين بعد ان شهد لهم بالبساله والصبر والشده والفراسة فى القتال والقدرة على التحرك السريع ، ولكن الظروف خدمته.

فـى هذه المـعركـة ورغم مـاعرف مـن حب شـارل فى ضـم الأراضى وتـوسيـع أمبراطوريتة وطمعه فى توطيد سلطانه (محمد محمد الشيخ دوله الفرنجه وعلاقاتها بالأمويـين بالأندلس الاسكنـدريه طبع ١٩٨١م) وقد تكون كل هـذه الأسباب هي التي دفعت المـسلمين إلى اخذر زمام المبادرة والـقيام بتوطيد النـفوذ الإسلامى فى الاراضى التي تم الإستيلاء عليها من قبل.

وتقول أن الذى دفع شارل مارتـل إلى عزوفه عن مقاتلة المسلمـين وتجنبه اللقاء معهم بعد معـركة بلاط الشهداء هو أنه ذاق مرارة الحرب معهـم وعرف قوة إيمانهم وجلدهم وصبرهم وقدرتهم على القتال فـصار بعد ذلك يتجنب الدخول في معركة واسعة معهم ويخشى الـلقاء معهم فى معارك كثيرة وقدر رأيناه يتـخوف من تتبعهم بعد الانسحـاب ولو أنه لمس فى نفسه قدره لـقام بمهاجمة موخرة الجيـش المنسحب لكـنه اكـتفى بمـا حصـل علـيه من اسـرى (ثلاثـه آلاف أسير والـغنـائم الخـاصه بالمسلمين).

وأنعمت البابوية عـلى شارل بلقب مارتل (Martel) وصار يعرف به وبمـا يحمله من ملامح صليبه ظاهره. ولم بجانـب الصواب كتابات المؤرخين الأوروبيين حيت انحازت عن جاده البحث العملى وضخمت الحدث بتصورات مبالغ فيها دون إدراك الأحداث الداخلـية في المغرب والأندلس والـشام وما كانت تمر به الخـلافة الأموية فى عهد هشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ) من تغيرات جوهرية.

لكنها تحدثت عن مـستقبل القارة الأوربية إذا ماكتب لمعركة بـواتيه أن تنتهى إلى غير صلح الأوروبيـين ذلك لأن المد العربى الإسلامى فى اوربا المـسحية قد وصل الى ذروته في معركة بواتيه ولم يكن هنالـك من سبب يدعو المسلمين الى التوقف لو حالفهم النجاح فكل الدلالات تشير إلى أنهم لو حققوا انتصاراً فى تلك المعركة فكان اصرارهـم على التقدم والمـضى فى الخطة التوسـعية الى النهـاية واطواء كل اوربا تحت لواء الإسلام ورايه القران الكريم.

ولقد قال احد المؤرخين الأوروبيين (Gibbon: RomanEmpire) أن معركة بواتيه انقذت أبـاءنا الإنجليـز وجيراتنـا الفرنسـيين من نيران القـرآن المدنى والديـنى وأنه لوحقق المسلمون، انتـصارا فـى هذه المعـركة لرأيـنا الـقرآن يدرس فـى اكسـفورد

والسربون. لكن المعركه حفظت جلال روما وأخرت استعباد القسطينطينية وشدت بآزر المسيحية وأوقعت بأعدائها التفرق والفشل وحدث بينهم الصراع العنصري والقبلى.

ويؤكد جوستاف لوبون فى كتابه حضاره العرب أن معركة بلاط الشهداء (بواتيه) لم تضع حدا لتقدم الغرب كما يزعم كثير من المؤرخين بل أن المسلمين سرعان ماأفاقوا من هول الهزيمة واخذوا يستردون مراكزهم السابقه لاسيما ان انباء المعركة عندما تردد صداها ببلاد المغرب حيث العاصمة القيروان وعندما بلغ (عبيد بن عبدالرحمن السلمى) الوالى الأموى على المغرب فقد تم تعيين حاكم للأندلس فورا هو عبد الملك بن فطين الفهري. فأسرع هذا إلى أرجونه (أربونه). وفى الطريق أعاد الهدوء الى املاك المسلمين فى جبال البرت وجنوب فرنسا وتثبيت سلطان المسلمين فى سيتيمانيه وفى جبال البرت وعقد معاهدات مع نفر من الرؤساء الذين خلفوا الدوق اودو في حكم نواحي اقطانيه وتمكن فى وقت قصير أن يتلافى الكثير من الآثار السيئه التي تخلفت عن هزيمة البلاط. وقد سلم حاكم مرسليا مقاطعه البروفانسى إلى المسلمين. وهكذا أصبح إتخاذ القرارات بمبادرات توسعية جديدة في أوروبا امر يحيط به الكثير من الشكوك ولكن تمسك المسلمين بمكتسباتهم فيما وراء السفوح الشمالية لجبال البرئيه أصبح امرا واقعا ولابد من الحفاظ عليه انطلاقا إلى رحلة أخرى عندما تسمح الظروف أن قول بعض المؤرخين عن هذه المعركة أنه لو قدر لعبد الرحمن عبدالله الغافقي وجيشه بالأنتصار لرأينا القرآن الكريم يتلى ويدرس فى جامعات الغرب (كمبردج واكسفورد والسربون) أى أن هذه البلاد كانت ستصبح مسلمة لكن عندما أفاقت اوربا على الحضارة الإسلامية فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا ادركوا خطأ هذه الأقوال واعتبروا ان توقف الزحف الإسلامى فى معركة بلاط الشهداء كانت نكبه كبيره أصابت أوروبا بضربة عنيفه حرمتها من الحضارة الإسلامية وأن الإنتصارات كانت نكسه عليهم. إن الذى ينظر إلى هذه الأقوال والكتابات الأوربية عن واقعة بلاط الشهداء ورواياتها يدرك مدى التحامل والكراهية والبعد عن الحقائق أو إهمالها أو تصورات خاطئه تعلل

خساره المسلمين فى واقعة بلاط الشهداء لاسباب لم يكن لها منها إلا محاولة الدس والوصول إلى التفرقة مثل القول بحدوث خلاف بين العرب والبربر، لكن الجميع قاتلوا بشجاعة فائقه وتحمس للدين والعقيدة لأن الإسلام لم يكن يفرق بين العربى والبربري فالجميع سواسيه ولقد سبق ذلك فى المغرب والأندلس ولم تكن هناك حساسيه فى المعامله لكن غالبية المشتركين فى المعركة كانوا من البربر فليسمن المعقول أن تكون سيطرة القله على الأكثرية وان قصه (موسونه) عثمان بن أبي نعسه الخشعمي لم تكن ليبنى عليها مثل هذا الأفتراض وأن استشهاد الغافقي كان من الأسباب القويه للانسحاب السريع لإنقاذ الجيش وعدم الاستمرار فى معركة ظهرت بوارد صعوبة الاستمرار فيها بظروفها القاسية ، حتى إنه بعد استشهاد القائد الغافقي فإن الجيش الإسلامى كان مستمرا فى القتال ونال من الفرنجة رغم هذه الظروف لكن استشهاد الغافقي زاد الموقف صعوبة ففضلوا الإنسحاب ولعل تركهم الخيام منصوبه والغنائم في مكانها مطروحة كما يقولون ولم تكن هناك غنائم ، ولكن روايات أوروبية تذكر أن الغنائم كانت سبب الهزيمة لأنه بسببها جرت حركة التفاف خلف المعسكر الإسلامى فتراجع بعض الجيش لحمايتها ومنع الفرنجة من الاستيلاء عليها كما كان السبب فى اختلال الجيش وفقده لتوازنه وتماسكه واستشهاد الغافقي وهزيمة الجيش وقصة الغنائم أسطوره لا اصل لها وهى تتعارض مع الهدف الإسلامى فى الجهاد ونشر الإسلام وإعلاء كلمة الدين وكان ترك الحامية القليله العدد لحمايه ظهر الانسحاب والخيام ما هو إلا تمويه وتضليل للعدو لم يدركها الفرنجة إلا صبيحة اليوم التالي وهم يستعدون للهجوم ، والإنسحاب كان وفق خطة مدروسة خططت لها هيئة مستشاري القوات وأركان القيادة بعد استشهاد القائد الغافقي لكن قرار الانسحاب كان قرار القيادة التي تحملت المسئولية بعد استشهاد الغافقي لأن انسحاب هذه الأعداد الكبيرة ووصولها الى أرجونه يعني أن قرار الانسحاب كان خطه تم ابلاغها للجميع لتنفذ فى سرية تامة وفى جنح الظلام ليلا وان الانسحاب كان من الأسباب الأمنية لحماية بعض القوات التي كان لابد ان تنسحب لحماية شمال جبال البرانس ولم يكن نتيجة بوادر انكاسرية لأن الفرنجه ومعهم الأوروبيين لم يستطيعوا التحرك خلف القوات المنسحبه ولو أنهم ادركوا

ضعف هذه القوات لكان قرار المتابعة قد صدر من شارل للقضاء على بقيه القوات المنسحبة لاسيما أن كتاباتهم قد بالغت مبالغه مفرطة فى كثرة القتلى فى الجيش الإسلامى. لكن فرصه الأوروبيين وكثره كناياتهم أن المد الإسلامى توقف عن الاستمرار والتقدم داخل الأراضى الفرنسية الذى كان متوقعا اطوائها تحت لواء الإسلام ذلك لأن الارادة الإلهية شاءت أن تكون هذه المعركة حاجزا دون اندفاع المد الإسلامى ليشمل القارة الأوربية كلها ولكن رغم وقوع هذه المعركة وتخوف المسلمين من الإندفاع فى سهول فرنسا ورغم قصر الحديث عن هذه المعركة فى المصادر العربية حتى أنه لم يات ذكرها إلا فى سبعة سطور فى مصادر عربية متفرقة ورغم إفاضة المصادر الأوربية فى الحديث عنها وعن نتائجها وتوقف المد الإسلامى عن السيطرة واحتواء القاره الأوربية فاعتبروا المعركة حاجزا أنقذ اوروبا ومن هنا زادوا الحديث عنها والتهويل لاحداثها ونتائجها في جو من التزوير والإفتراء والمبالغة.

يعتبر المؤرخون الأوربيين هذه المعركة من المعارك الفاصلة فى التاريخ الاوروبي فيذكر المؤرخ الاوربى (جيسون) أن العرب لو تحقق لهم الانتصار فى تلك المعركة لنتشرت المساجد فى باريس ولندن بدلا من الكاتدرائيات الآن ولكان القرآن يقراء ويتلى ويفسر فى اكسفورد وغيرها من المراكز العلمية فى انحاء اوربا المختلفه كما علق المؤرخ (جون دوايورت) فى كتابه العرب عنصر السيادة فى العصور الوسطى) على موقعة بواتيه فقال المرجح أن معركة بواتيه التي نشبت بين عبدالرحمن الغافقي وشارل مارتل بأواسط فرنسا وانتهت بتقهقر العرب كانت أعظم عامل على تقلص ظل الحضارة العربية عن الغرب ولو انتصر العرب فى هذه الموقعة الكبرى لكانت اوربا اليوم عبارة عن مقاطعة عربيه إسلامية بلاريب.

ولقد أسرف الفرنسيون فى تقديرا أهمية معركة بواتيه فذهبوا إلى أنها أنقذت حضارة غرب اوربا ووضعت حدا لسيادة الشرق على الغرب والواقع أن هذه كلها مبالغات لايقبلها الحكم التاريخى الصحيح فلم يكن الفرنجة الذين تصدوا لرد المسلمين عن فرنسا بأصحاب البلاد بل كانوا غزاه اغاروا عليها وتملكوها بحد

السيف فإذا كان العرب المسلمون اغربا عن فرنسا فقد كان الفرنجة اغرابا ايضا وكانوا يحكمون البلاد بالعنف والقسوة حكما أجنبيا خالصا وكانوا يترفعون عن أهل غاله الاصليين ويعتبرونهم رعايا عليهم واجب الخضوع لهم ولم يكن الفرنجة الذين حاربهم المسلمون قد انتصروا للثقافة اللاتينية كما زعم مؤرخو الغرب فلم يكن هؤلاء الفرنجة يعرفون عن اللاتينية شيئا ومن هنا لم تكن موقعة بواتيه انقاذا للحضارة اللاتينية بقدر ماهي خسارة لعدم تقدم الحضارة الإسلامية فى ذلك الوقت من القرن الثامن الميلادى وفي الوقت الذى سلط المؤرخون الاوربيون المحدثون الأضواء على موقعة بواتيه أو بلاط الشهداء فإن المصادر التاريخية الإسلامية القديمة لم تهتم بها جانبا فهى لم تكن فى نظرها إلا غزوة لاتختلف عن الغزوات التي خاضها جند الإسلام من قبل فى فرنسا أو فى غيرها من البلاد التي خضعت للفتح الإسلامى ولم يزد ماجاء فى تلك المصادر عن هذه الموقعة عن سبعة أسطر مبعثرة على صفحاتها وربما يزيد عن ذلك وأن إجماع المؤرخين المسلمين عند عدم الاهتمام بهذه الموقعه مما يؤكد أن هذه الموقعة لم تؤثر على تطورات الأحداث تأثيرا كبيراً ولم تكن لها قيمة وزن على الاطلاق طوال العصر الوسط بدليل قيام الوالى عبد الله بن فطين الفهرى الذي ولى القيادة بعد استشهاد عبدالرحمن الغافقي (١١٤-١١٦هـ) بنشاط حربي خلف جبال البرانس(سوف تشير الى ذلك) أنظر كتابMercier : Chares Martel et la Bataille de Poriters

لكن قد يكون القاء الأضواء على هذه المعركة حديثا والذى صدر فى باريس عام ١٩٥٤م أن الأمر لايعدو أن يكون محاولة من جانب المؤرخين الأوروبيين فى العصور الحديثه لتلمس أحداث من الماضي يربطون بينها وبين تاريخهم الحديث القصير العمر في مجده وتطوره (انظر الاهرام (صحيفه) السبت ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٤) حديث الاستاذ محمد حسنين هيكل وفيه تاكيد لما ذهب إليه المؤرخين الاوربين في العصر الحديث:

وكما سبق القول فإن القيام بحركة الالتفاف السريعة لمهاجمه مؤخره الجيش الإسلامى قد عملت على اختلال نظام الجيش يتراجع بعض القوات لحماية المؤخرة ووقف تقدم قوات الفرنجة وصولا للقلب فيما اكثر واستطاع الجيش الأوروبي فتح ثغره فى دفاع المسلمين والوصول إلي حيث القائد عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي حيث استشهد فأصبح الجيش بلا قياده وقد وقع خلاف بين رؤساء الجند وهل الاستمرار فى القتال إلى نهايته أم الإنسحاب وانتصر رأى الإنسحاب واضطر المسلمون إلى الإنسحاب فى ظلام الليل دون أن يشعر بهم أعدائهم ولم يتعقب شارل مارتل فلول جيش المسلمين خشية أن يكون إنسحابهم تدبيرا للقيقاع به في كمين والقضاء عليه لكن مشروع غزو فرنسا لم يمت بنهاية عبدالرحمن الغافقي لكن المشروع ظهر مرة أخرى (الفصل السابع)

ولا غرو فقد كان من عادة الجيوش الإسلامية إنها كلما استعدت وتجهزت لفتح وتهيأت له أن يأمر قائد القوات الزاحفه ان ترافق الحملات نوعيات مختلفه من طوائف الشعب في كل حرفه ومهنه لاسيما الحرف والمهن التى لها علاقة مباشرة بالقتال والجيش وخدمة القوات والحرب والعتاد الحربي والبناء والتشيد ورجال القانون والشريعة (ابرام المعاهدات) وجماعات الدين للوعظ والإرشاد والعلماء فى فنون صنع الأسلحة والبارود والطب والجراحة والصيدلة ورجال التاريخ العارفين بتواريخ الأمم ورجال الترجمة العارفين باللغات اللاتينية وعاداتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والاخلاقية لأن هدف المسلمين من جراء هذه الحملات ماكانت ترمى إلى بعث الارهاب وبث السيطرة والجبروت فى قلوب الناس وإنما كانت أهدافهم اسمى وأعلى من هذا كله فالمسلمون كما نعلم يحملون رساله قرآنية سامية تهدف إلي نشر لواء الحضارة الإسلامية والنور والإيمان والعدل والسلام بين كل الشعوب المختلفة الألوان واللغات ومن المعروف أن الحروب فى كل زمان ومكان تنتهى بوقوع القتلى والجرحى والاسرى من كلا الجانبين المتحاربين كما حدث في معركة بلاط الشهداء (بوتيه) حيث أسر الاعداء من جيوش المسلمين وقيادتهم مالا يقل عن ثلاثه آلاف جندى وجد بينهم بعد التحقيق من شخصياتهم عدد غير قليل من

الخبراء فى صناعة الأسلحة والبارود والطب والصيدلة والتمريض والبناء وصنع الأدوات الثقيلة وبناء الجسور وغيرهم من أرباب الفنون والصناعات كما وجد المستشارين من أهل العلم والأدب والتشريع وهكذا سقط بعض الاسرى المسلمين فى معركة بلاط الشهداء حيث لم يقدر لهذه الحملة النجاح وهكذا كانت حملة عبدالرحمن الغافقي على فرنسا ترمي إلى نفس الأهداف وتلقف الأوروبيين الاسرى كغينمه بارده وراحوا على توال الأيام يستغلون مواهبهم التي كان الفرنجة يتعطشون إلى استغلالها لشدة حاجتهم إليها فقد كانوا غارقين فى بحور مدلهمه من الضلال والفوضى وأصبح هؤلاء الاسرى نواة حركة حضارية وعلمية متقدمة وقد تحدث جوستاف لوبون قائلا أن انتصار شارل مارتل لم يكن له أهمية كبرى كما يذهب بعض المؤرخين بل أن مارتل أخفق تماما في اجلاء العرب عن المدن التي فتحوها بل تقهقر أمامهم تاركا لهم مافتحوه ولو انتصر العرب لكانت الفرصة لانتشار الحضارة الإسلامية الزاهرة كما انتشرت في الأندلس فقد كانت ثمار التقدم فى فرنسا وباقى أنحاء اوروبا مثلها كذلك فى الأندلس وصقلية وجنوب ايطاليا لكن فرنسا واوروبا استفادت من الاسرى المسلمين حيث كان رجال الدين المسيحي أول من تنبه لأمر هؤلاء الأسرى ثم شاركهم في هذا الشعور جماعة ممن سبق لهم أن اتموا دراستهم وثقافتهم بالمعاهد العربية الإسلامية في الأندلس (٩٥-١١٤هـ) تسعة عشر عام ، فالفوا بادئ ذى بدء كتله اسموها باللاتينية مامعناه النواه المركزية راحت تعمل على الاستفادة علميا وحضاريا وفنياً من هؤلاء الاسرى كما أن الأستاذ أحمد أمين في كتابه ظهر الإسلام قد تحدث عن موقعة بواتيه فقال : لقد كانت بواتيه موقعه فاصلة بين العرب والمسلمين في الأندلس والفرنجة في أوروبا ومن خلفهم، إذ لولا هزيمة المسلمين في تلك المعركة لفتح المجال أمامهم واسعا للإنتشار والتقدم لفتح كل القارة الاوربية كما كان هو مرسوم منذ عهد موسى بن نصير واستفاد سكان تلك الأقطار المفتوحة بما عليه المسلمين من أخلاق وقيم وتقاليد اسلامية وحضارة واستفاد سكان اوربا من تعاليم الإسلام الخالدة وحضارته الزاهرة.

ولانخرط الاوربين في دين الإسلام وتعلموا لغـه العرب واطلعوا على علومهم وفنونهم ولكان العالم أشبه مايكون بكتلة واحده ولكن شاء الله أن يقفوا عند هذا الحد وراى الفرنجة تمجيد شارل مارتل لأنه حمـاهم من غزو المسلمين واعتقدوا أنه لو انتصر عليهم المسلمين لما كانت النهضة الاوربية والاستقلال الأوروبي ولا علمهم ولا فنهم لاسيما أن معظم جنود شـارل مارتل كانوا من البدو الاجلاف؟ شبه عراه رغم بروده الجو وباقى الجند يرتدون جلود الذئـاب ويغطون رؤوسهم بشعور ملبده وهذا خير دلـيل على التخلـف الحضاري والحياة البـدائية ولقد لعبـت عدة عوامل دورا كبيرا في عدم امتداد النفوذ الإسلامى فى فرنسا فقد اقتصرت محاولة المسلمين على العبور إلى فرنسا من الأبواب والممرات الشرقيه فى جبال البرت وكان الوحيد الذي عبر من المعابر الغـربيه هو عبدالرحمن بن عبدالله الغافـقي ومن هنا لم يركز المسلمـون في تلك المناطـق وركزوا جهودهم فى جنـوب شرق فرنسا ولم يـهتموا بالجهات الغربـية التي يسكنها أقوام جـيليون اشداه ظلوا شوكة فى جـنب المسلمين وكان مـن الضرورى فتـح هذه المنـاطق لتـأمين الأراضي الإسلامـية فى الأنـدلس وفرنسا. كما أن فرنسـا كانت تبعد كثيرا عن العاصمة الأمـوية فى دمشق مما لايتح الفرصه للقواد العـرب للاستفادة من توجهات الخليفة ورجاله ومـا يبعثون لهم من امدادات عـسكـرية وعتـاد تكون دفـعا لحـركة المد الإسـلامى وكانـت حركـة المد الإسلامى التى يسعى المسلمون الى تحقيقها في فتح منظم للأقاليم الفرنسيه وادخال فرنسا فـي رحاب الدوله الإسلامية الـعربية وكانت جـهود المسلمين في فـرنسا من أمجد جهودهم وكـانت تضحياتهم في سبيـلها من أغلى ماضحوا به فـي فتوحاتهم وجهودهم خير شاهـد ، واستشهاد العديد من قوادهم في سـبيل ذلك شاهد عدل ولولا أن تكاتفـت ظروف خارجية وداخلية عـلى حرمانهم من الاستـفادة من هذه الجهود لتغير وجه التاريخ الإنساني فى تلك القارة .

إضافـة إلى أن العرب المـسلمـين لم يلبـسوا أن افاقـوا من تلـك الضربة الـتى اصابتهم من شارل مـارتل أن أخذوا يستردون مراكزهم السابقه وقـد أقاموا بفرنسا (مائتي عام بعد ذلك) وثبت إقامة المسلمين في فرنسا فترة تزيد عن قرنين بعد شارل

مارتل، ومن هنا فإن النصر الذى حققه شارل مارتل فى بلاط الشهداء (بواتيه) لم يكن مهمـا كما زعم المؤرخون ولم يستـطع شارل مارتل أن يطرد المسـلمين من آية مدينة فتحوها عسكريا بل أنه اضطر إلى التـقهقر أمامهم تاركا لهم ماستولوا عليه من البلدان وكانـت النتيجة المهمه الوحيـدة التي أسفـر عنها انتـصاره هى أنه جعل المسلمـين أقل جرأة فى غزو شمال فـرنسا نتيجة مـثل هذه وأن كانت كتابـاتهم لم تكف لتضخيم أهمية انتصار هذا القائد في بلاط الشهداء (بواتيه).

ذلك لان حاكم مقاطعه مرسليا ومقاطعه بـروفانس سلم للمسلمين حكم البلاد عام ٧٣٧م واستولـوا على الأولى ودخلوا مقاطعـة سان ترويز عام ٨٨٩م ودامت اقامتهم بمقاطعـه بروفانس حتى نهاية القرن العاشر من الميـلاد وأوغلوا في مقاطعه الغال وسويسرا عام ٩٣٥م ويرى بعض المؤرخين أنهـم بلغوا مدينه ميس وبذلك لم تكن بلاط لشهداء (بواتيه) بالصورة الـفاجعة التي صورها المؤرخين الاوربين الذين احاطوها بها له من التقديس والتكريم.

بل أنه مما يدعو للعجب والاستغراب أن يـجد المرء بعض كبار المؤرخين فى عالمنا العربى الإسلامى والذين يتبوؤن مكانة عالـية علمية اكاديمية وتلقى وسائل الاعلام المسموعة والمريئه الضوء عليهم باسـتمرار ينساقون وراء كتابات المؤرخين الأوروبيين وينقلـون عنهم أقوالهـم المغرضة التي توضـح الإساءه البالغة لـلإسلام وأهله دون توضيح الـهدف أو بيان القصد فنـجد مثلا الدكتور أحـمد شلبى في كتابـة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية جـ٢ طبع ١٩٦٩م ص١٢٩، ص١٣٠، يقول بالحرف الواحد يجدر بنا أن نلجأ الى جوستاف لوبون ليقرر لنا حقيقه هذه المعارك الفاصلة التي درات ووقـعت فى جنوب فرنـسا ومدى أهميتـها ، يقرر غوستـاف لوبون أن العرب استولوا على نـصف فرنسا الحالية ولم يكن قصدهم الاسـتقرار بتلك البلاد وإنما كانت غاراتهم ترمى إلى التخويف وجـمع الغنائم ولاحظ أن الكاتب (فرنسي الجنسـيه) وكان زحف الـعرب (وليس المـسلمين) جـارف أرعب أصحاب الاقـطاع بفرنسـا وأرعب شارل مارتل نفـسه ويقتبس غـوستاف لوبون من المـؤرخين الغرب

(دون ذكر المصدر) عباره تدل على صخب الزحف العربى وهذه العبارة وهى أن كثيرا من سيدات الفرنج اشتكوا إلى شارل مارتل من الأضرار التى أحدثها المسلمون بهم ومن الخزى الذي أصاب اوربا من جراء انهزام جيوشهم أمام العرب فاجاب شارل مارتل قائلا: دعوهم يصنعوا مايشاؤن فهم الآن كالسيل الذى يأتي على كل مايعترضه ولكنهم إذا ما أثقلتهم الغنائم وطاب لهم المقام بالبيوت والفوز برفاهية العيش واستحوذ الطمع على قادتهم ودب الشقاق في صفوفهم ، زحفنا عليهم واثقين من النصر (هذه إساءة بالغه في حق الإسلام والمسلمين لأن الإسلام نشر دعوه ورفع قرآن كريم ولان المسلمين ليسوا طلاب غنائم ولا قصور ولا نساء ولاطمع ولا شقاق) ويضيف الدكتور قائلا: وصحت نبؤة شارل مارتل واتبع هو هذه الخطة التى رسمها فقد انتظر على العرب حتى هدأت ثورتهم وثقلت غنائمهم ودبت المنافسة بينهم ثم قابلهم بجيش كبير ودارت المعارك يوما كاملا (خطأ) لقد دارت أحداث المعركة اكثر من أسبوع بل عشره أيام) ولم تسفر عن نتيجة حاسمة، ودخل الليل وبدأت المعارك تهدأ وحينذاك اقتحمت فرقة من جيش الفرنج معسكر المسلمين وخاف هؤلاء على غنائمهم فارتدوا للدفاع عنها تاركين الميدان وتقهقر بذلك الجيش العربى وتتبعهم شارل مارتل وأخذ ينهب البلاد التى يمر بها حتى أن أمراء النصارى خافوا زحفه فحالفوا العرب ليتخلصوا منه (ومن الذى كان ينهب ويسلب المسلمين أم الفرنجه لقد كانت الغزوه الاخيرة تشهد على ان المسلمين لم يكونوا يتحركون من أجل السلب والنهب ولكن تلك طباع الفرنجة.

أن عبدالرحمن عبدالله الغافقي كما ذكر عنه ابن شكوال فى كتابه نفح الطيب أنه كان رجلا نقيا ورعا تقيا سيرته عطره اشتهر بالعدل والمساواه وحبه للجهاد فى سبيل الله كما أنه كان من التابعين وقد ورى عن عبدالله بن عمر بن الخطاب (فكيف يكون قائد جيش من التابعين الذين تتلمذوا على رسول الله ﷺ يكون سلوك جيشه جمع الغنائم والكنوز وللاسف سار بعض العرب على نهج وفكر الغرب دون فحص أو تدفيق أو تفنيد هذه الأساليب الرخيصة لخداع القارىء العربى والمسلم بعيدا عن الحقيقة والتى تصف جند الرسالة الإسلامية طلاب الشهادة أو النصر بأنهم طلاب غنائم وأسلاب ونساء وشهوة وملذات.

واذا كان الجانب الاوربى يتصور أن أسباب الهزيمة هى حرص المسلمين على الأسلاب والغنائم بعد تركهم القتال والانصراف لحماية هذه الكنوز والرد على مثل هذه الدعاوى بسيط وسهل وميسر وهو أنه كيف يحمل معهم هذه الغنائم لمسافة ١٣٠٠ كيلو متر بعيدا عن العاصمة القرطبية ، ودعنا من المسافة من العاصمة بواتيه ولكن كيف يتم حمل هذه الغنائم لمسافة ٤٠٠كيلو شمال جبال البرت. ألم يكن أولى لهم أن يتركوا هذه الغنائم فى أى من المدن الكثيرة التى تم فتحها والسابق الاشارة إليها لاسيما أن كل مدينه كان يتم ترك حامية إسلامية بها إضافة إلى أن هذه الغنائم لم يكن قد تم تقسيمها بين الجنود حتى يحتفظ كل جندى بما يستحقه من هذه الكنوز وهنا تسقط دعوى جوستاف لوبون وغيره من كتاب الغرب لاسيما أن الجيش الإسلامى يعلم مقدما بناء على تقارير الاستطلاعات العسكرية أنه ذاهب لقتال كل اوربا وإنه فى اراضى واسعة وشارل حشد كل مايمكن حشده . إن القوات الإسلامية مرت فى طريقها في اراضى فقيرة جرداء وأهلها معدمون لا يملكون كنوز ومجوهرات بل إنهم كانوا يلبسون جلود الحيونات إلى منتصف أقدامهم ونصف أجسامهم عارية ولكن لما كان انتصار بواتيه المحدود هو أول انتصار يتحقق لاوربا منذ دخل المسلمون اوربا في عام ٩٢-١١٤هـ (اثنين وعشرين عاما) فقد يعد ذلك بالنسبة لهم حدثا تاريخيا لم يسبق حدوثه لاسيما أن الذعر قد أصاب الجند الفرنجى فى بداية المعركة من جسارة وقوة إيمان المقاتل المسلم وقد صورت الكنيسة ورهبانها والبابا جريجوري الثالث ماحدث كأنه يوم القيامة وركز عليه الرهبان بأنه أنفذ النصرانية فى ضربة كانت تعد لها وذلك بدوافع صليبية وعصبية مدفونه فى القلوب منذ معركة اليرموك فى عهد الخليفه الراشد الثانى عمر بن الخطاب لكن بعض الكتاب الأوروبيين المنصفين وقد روا ماجاءت به القيم الإسلامية في الأندلس وصقليه وجنوب ايطاليا وجنوب فرنسا (أقليم بروفاس) قد اعتبروا معركة بلاط الشهداء نكبه كبيرة أصابت اوربا وضربة عنيفة حرمتها من الحضارة الراقية ومن تحرير الإنسان من نير العبودية والإقطاع والسخرية وحفظ كرامتة طبقا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن هنا فإن بلاط الشهداء كانت نكسه) كبيرة اصابت أوربا وأخرت تقدمها مثلما شاهد الاوروبيين فى المناطق

السابق الإشارة إليهـا والتي دخلها الإسلام ، إن جند الفرنجه بـانتصارهم في بلاط الشهداء لم يقدموا خيرا لاوروبا لأن شارل مـارتل بما حققه قد أخر القارة الاوربية ومسـتقـبلـها الحـضاري لأن مـا أصابـها عـلى يـد جنـد الفـرنجة بـقيـادة شارل مارتلChakles Martel الذى حشد جيشـا ضخما من الفرنج ومن مختـلف العشائر الجرمانية المتوحشة والـعصابات المرتزقة فيما وراء نهر الراين مع المقـاتلة الكثيرة من دول الشمال وأمم كلها دخـلت جندا غير منظمين متوحشين نـصف عراه. يتسترون بجلود الأبقار والذئاب والحيوانات الأخرى لاتـستر إلا عوراتهم وشعورهم المجعدة الطويلـة التي تنسدل فـوق أكتافهم العـارية وكأنهم سكـان غابات لم يألفـوا الحياة وتلـك كانت حالـة هذه الشعـوب فى النـصف الأول من القـرن الثامن المـيلادى (٧٣٢م) وقت المعركة فى حـين أن اوربا لم تفق من غفلتهـا إلا في القرن الخامس عشر الميـلادى وبعد المعركة بـثمانية قرون. فـكيف كان حال هذه الـبلاد ومامدى الرقي والتـقدم الذى كانت تعيش فـيه الحضارة الإسلامية تطـل من الأندلس ، أن تقدم الـقوات الإسلامية وصولا إلـى مايقرب من ٢٠ كـيلومتر جنـوب باريس أو سبعـين كيلومتر أو ٣٠ كـيلومتر فإن الـدولة الإسلامية لوقـدر لها أن تقيم نـظاما سياسيا وأداريا وتنظيميا مثلما حدث فى الأندلس لتغيرت الصورة الحضارية والثقافة والعملية والفكرية كثيرا عما حدث في القرن الخامس عشر من نهضة حضارية ذلك ان الحضارة فـي الأندلس خير شـاهد على دور المسلـمين الحضاري وتقـول بعض المصادر أن الـراى السائد عن تاريخ هذه المعركـة أنها بدات في ١٢ اكتوبر، ٧٣٢م تسعه أواخر شعبان ١١٤هـ واستمرت حتى يوم ٢٠ اكتوبر من نفس العام بل اوائل أى تسعة أيـام لكن رغم ماحدث فـي هذه الموقعه فإن ذلـك لم يمنع المسلـمين من إعادة الـكرة مرة أخرى والـغزو فى ذلك الاقـليم لأن بلاط الـشهداء لم تـكن إلا معركة مثل طلو شوه أو تور أو لكه أو غيرها فى فرنسا وإذا كان لم يقدر للمسلمين أن يحـققوا نصـرا حاسمـا فى تلك المـعركة التـي دامت مايـقرب من عشـرة أيام وخسروا بعضـا من قواتهم واضطروا إلى الانسـحاب المنتظم المدروس المتـفق عليه والواضح أمام كل جندى دوره في خطة الانسحاب. فإن ذلك لا يعني أن المسلمين قد فقدوا الأمل نهائـيا في فتح فرنسا ومحاولة مد الرايـة الإسلامية مرة أخرى إلى

الشمال أو أن شارل مارتل استطاع زحزحة المسلمين من المدن والحصون والقلاع والاقاليم التي كانوا يسيطرون عليها فى أقليم جنوب وشرق فرنسا حيث كانت هذه المناطق قد أتخذت الطابع العربى الإسلامى وبدأت معالم الحكم والاستقرار فى تلك الاقاليم الواقعة شمال خط جبال البرانس وظل الإسلام في هذه الأقاليم قرابة مائتي عام أو يزيد وفى ذلك يقول أحد الباحثين الفرنسين أنفسهم فى كتابة Mus-lim Colonies إن الدم العربي لازال متغلبا فى جنوب فرنسا ولاسيما في أقليم يرست وغيرها من المدن وفى جبال البرت وفي أقليم السافو إذ لازال نرى إلى اليوم اناسا سحنتهم عربية صرفه ولهم لغه خاصة بهم ويسميهم أهل تلك الأرجاء بالشرقيين ولم يزل هؤلاء فى عزلة عن الفرنسين ولا يتزوجون منهم ولكن من جماعاتهم ومن عاداتهم ألا يقيموا المراقص في حفلاتهم وتتحجب معظم نسائهم وتحمل الكثير من أسمائهم اسم الله ظاهرا كعبد الله أو فتح الله وهم يفتحرون بأنهم فى سلالة العرب الفاتحين لهذه الارجاء والتي خضعت لنفوذ أجدادهم وسيطرتهم فى عصر الإسلام الزاهر في القارة الاوربية (شكيب أرسلان تاريخ غزوات العرب مترجم عن جوزيف رينو) ولقد كان المسلمين أكثر ميلا إلى التسامح مع سكان هذه النواحي الجنوبية من فرنسا طعما فى كسبهم إلى جانبهم وطعما فى اقناعهم باعتناق الدين الإسلامى والخروج من دين الوثنية الذي يعيشون عليه وكانت الحاميات الإسلامية فى جنوب فرنسا تسكن فى القلاع والابراج التي بنيت لهذا الغرض وذلك لحماية المناطق الواقعة شمال جبال البرت والواقعة تحت سيطرة المد الإسلامى وكانوا يقيمون بإقرار السلم والنظام بين أهل تلك النواحي وأيضا جمع الضرائب والأموال والخراج طبقا لنص الشريعة الإسلامية وقد ترك المسلمون لاهل تلك النواحى في فرنسا حرية ممارسة شعائرهم الدينية وعدم اجبارهم على الدخول فى الدين الإسلامى لأنه لا اكراه فى الدين بل أن كثيرا من سكان تلك النواح قد دخلوا فى دين الإسلام أفواجا بل سكان هذه النواحى قد احبوا المسلمين وتفانوا فى خدمتهم وكرهوا شارل مارتل وحكمه وساعدوا المسلمين على تدعيم مواقعهم فى تلك الأرجاء وقدموا لهم التسهيلات اللازمة. وأنهم دخلوا في الإسلام كافه بل أنهم عملوا على تعلم اللغة العربية ولو طال بقاء المسلمين فى

هذه الارجاء مثل الأندلس لرأينا من بينهم العلماء الفقهاء والباحثين العلميين والفلاسفه ورجال الكيماء والرياضة والقضاء ورجال الدين الفرنسين المسلمين كما حدث فى الأندلس وهذا يعطى الدليل على أن المسلمين لم يدخلوا فرنسا غزاه ناهبين ولا حكاما طامعين ولا سياسيين محترفين ولم يضعوا الغنائم والأسلاب كل همهم ومقصدهم بل دخلوها أصحاب رسالة وعقيدة عاملين على نشر رسالتهم السمحة وأن المسلمين كان لهم أثر فعال فى تمدين الجزء الجنوبى من أرض فرنسا وأنه تحول بسرعة إلى التقدم والحضارة فأزدهرت العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة، بل لم يقتصر فعل المسلمين على ترقية العلوم بما نشروا من معرفة وثقافة وحضارة وأقاموا الجامعات وألفوا كتب في مختلف المعارف الأنسانية التى كان لها الأثر البالغ فى فرنسا ولو بسط المسلمون لواء الإسلام في فرنسا كلها لتغير وجه القارة نهائيا في ذلك الجزء من العالم ولسادت الحضارة الإسلامية في فرنسا بل أن اللغة الفرنسية تأثرت باللغة العربية وأن اللهجات السائدة فى ولايات افرون وليموزين فإن بها كثيرا من الكلمات العربية لاسيما اسماء الأعلام فإنها ذات سمة عربية.